نفسه فتلك مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم بعد ان طال ما تقالبوا فيها
وعمروها وزخرفوها وزينوا فيها الابكار وفرحوا بالاعمال الكبار الا
سكونا قليلا قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافرون ومار الطريق
يوما وساعة من ليل او نهار ثم تصير يبابا موحشة كالقفار
بعد ان كانت متمتعة لتناسب غرف الصفاح وسمر القنا قال الزمخشري
ويحتمل ان شوم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها
من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا اي ازلا وابدا نحن الوارثين
منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم
قال القايل تتخلف الاثار عن اصحابها حينا ويدركها الفنا فتتبع
وما كان ربك اي المحسن اليك بالاحسان بالارسال اليك الى الناس
مهلك القرى اي هذا الجنس كله بجرم وان عظم حتى يبعث في امها
اي اعظمها واشرفها رسولا لان غيرها يتبع لها ولم يشترط كونه
من اهلها فقد عيسى عليه السلام من الناصرة وبعث الى
بيت المقدس يتلوا عليهم اي اهل القرى كلهم اياتنا الدالة على
ما ينبغي لنا من الحكمة وبما لها من الاعجاز على نفوذ الكلمة وباهر
العظمة الزاما للحجة وقطعا للمعذرة لئلا يقولوا ربنا لولا
ارسلت الينا رسولا وكذلك لما اردنا عموم الخلق بالرسالة
جعلنا الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبيا من
ام القرى كلها وهي مكة البلد الحرام وما كنا مهلكي القرى
اي كلها بعد الارسال الا واهلها ظالمون اي عريقون في
الظلم بالعصيان بترك موجبات الايمان وتكذيب الرسل وما اوتيتم
من شيء من اسباب الدنيا فمتاع اي فهو متاع الحياة الدنيا وليس
يعود نفعه على غيرها فهو الى فناء وان طال زمن التمتع به
وزينتها

وزينتها اي فهو زينة الحياة الدنيا التي هي كلها فضلا من زينتها الى فنا
فليست هي ولا شي باقي ولا ابدي وما عند الله اي الملك الاعلى
وهو ما لا عين رات ولا اذن سمعت خير على تقدير مشاركة ما في
الدنيا له في الخيرية في ظنكم لان الذي عنده اطيب واكثر واشهى
وازهى وهو مع ذلك كله ابقى لانه وان شاركه متاع الدنيا في انه
لم يكن ازليا فهو ابدي وهذا جواب عن شبهتهم فانهم قالوا ان كنا
الدين لئلا تفوتنا الدنيا فبين تعالى ان ذلك خطا عظيم لان ما عند
الله خير وابقى من وجهين الاول ان المنافع هناك اعظم والثاني
انها خالصة عن الشوايب ومنافع الدنيا مشوبة بالمضار بل المضار
فيها اكثر واما انها ابقى فلانها دائمة غير منقطعة ومن قابل المتناهي
بغير المتناهي كان عدما فظهر بهذا ان منافع الدنيا لا نسبة لها الى
منافع الاخرة فلا جرم نبه على ذلك بقوله تعالى افلا يعقلون ان
الباقي خير من الفاني فيستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير
فمن لم يرجح منافع الاخرة على منافع الدنيا فانه يكون خارجا عن حد
العقل قال ابن عادل ورحم الله الشافعي حيث قال من وصى بثلث
ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله
تعالى لان اعقل الناس من اعطى القليل واخذ الكثير وما هم الا
المشتغلين بالطاعة فكانه رحمه الله تعالى انما اخذه من هذه الاية
وقرا ابو عمرو بالياء وهو ابلغ في الموعظة لاشتماله على الالتفات
للاعراض به عن خطابهم والباقون بالتاء على الخطاب جريا على ما
تقدم افمن وعدناه على عظمتنا في العلم والقدرة والصدق وعدا
حسنا لا شي احسن منه في موافقته للامنية وبقائه وهو الجنة فان
حسن الوعد بحسن الموعود ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى فهو لاقيه

Copyright © King Saud University